

الإسلام نهى عن التبذير وأكد أنه مذموم وينتهي إلى التهلكة

المسرف سفيه في نظر العقلاء بغيبض في عين الشريعة

في علمنا العربي عامة والخليجي خاصة يأتي الإسراف على رأس الأمور التي تؤدي إلى الاستدانة ولاشك أن المسرف يجهل تعاليم الدين الذي ينهى عن الإسراف بشئى صورته، فلو كان مطلعاً على القرآن الكريم والسنة النبوية لما اتصف بالإسراف الذي نهى عنه «وكلوا واشربوا ولا تسرفوا» فعاقبة المسرف في الدنيا الحسرة والندامة «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تيسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً» وفي الآخرة العقاب الأليم والعذاب الشديد «وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم إنهم كانوا قبل ذلك مترفين».

يظن المسرف أن المجتمع ينظر إليه بإعجاب، والحقيقة غير ذلك، فالعقلاء يرونه سفيهاً، ولا يحبون أن يكونوا على شاكلته، بينما قد يخذعه من هم على دربه. وفي فترات الشيخوخة، أو نفاذ المال ونضوب مصادره يعض المسرف على يديه، وقت لا يبقغ الندم، ولا يجد حوله من أصدقاء الإسراف إلا من هم على شاكلته نادمين، ينتظرون مساعدات الآخرين، أو على الأقل يعيشون في مستوى من الإنفاق والاستهلاك أقل من المتوسط، وكان بإمكانهم أن يكونوا أحسن حالاً لو أنهم قدموا لأنفسهم.

ويحضرنا هنا ما ورد في كتاب الله عز وجل لتوضيح المنهج الذي ينبغي أن يتبع في الاستهلاك والإنفاق، فيقول الحق تبارك وتعالى «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تيسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً» الإسراء: 29. فخير الأمور الوسط، فلا إسراف ولا تقتير.



وتبين السنة أهمية الاعتدال في الإنفاق من خلال العديد من الأحاديث الشريفة وسلوك رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته، ونشير هنا على وجه الإصرار إلى قوله صلى الله عليه وسلم «رحم الله امرئ، اكتسب طيباً، وانفق قصداً، واخذ رزقاً ففقره وحاجته»، عن ابن النجار عن عائشة رضي الله عنها، ضعفه السيوطي في الجامع الصغير.

والإسراف كما يكون من الغني، فقد يكون من الفقير أيضاً، لأنه أمر نسبي. والإسراف يكون تارة بالقدر، ويكون تارة بالكيفية، ولهذا قال سفيان الثوري رضي الله عنه: «ما انفق في غير طاعة الله فهو سرف، وإن كان قليلاً»، وكذا قال ابن عباس رضي الله عنه: «من أنفق درهما في غير حقه فهو سرف». ولا يعني ذلك أن يحيا

والفرد أو الأسرة بعيداً عن الترفيه، فهذا غير واقعي ولا يناسب النفس البشرية، ولكن المطلوب أن يمارس الترفيه في الحدود المقبولة كما وكيفاً، بما يتناسب وإمكانيات الفرد والأسرة، وذلك في مجالات المأكل والمشرب والملبس، وأثاث البيوت، والترفيه عن النفس، أو في المناسبات الاجتماعية كالأفراح، أو الاحتفال بالنجاح وأعياد الميلاد، أو رحلات المصايف... الخ. ومن فضل الله أن كل هذه الصور متاحة لمختلف المستويات والدخول، ويبقى أمام المستفيد منها أن يعتدل ولا يسرف.

أسباب الإسراف

البعد عن صحيح الدين، أو الفهم الخاطئ للدين. والمقصود هنا أن جوهر الدين هو الاعتدال والوسطية، وذلك

كله يصب في محاربة الإسراف، فليس من التدين أو معرفة تعاليم الدين أن يبذل الإنسان موارده، أو يستهلك فوق حاجته، أو ينفق فيما لا ينبغي وإن كان حالاً، التنشئة الخاطئة في الأسرة، أو وجود نموذج سيئ للقوة في المدرسة أو الشارع أو النادي أو وسائل الإعلام، مما يجعل الإسراف نوعاً من الاعتبار السلوكي أو يجعله مكوناً أصيلاً في شخصية الفرد المصايف... الخ. ومن فضل الله أن كل هذه الصور متاحة لمختلف المستويات والدخول، ويبقى أمام المستفيد منها أن يعتدل ولا يسرف.

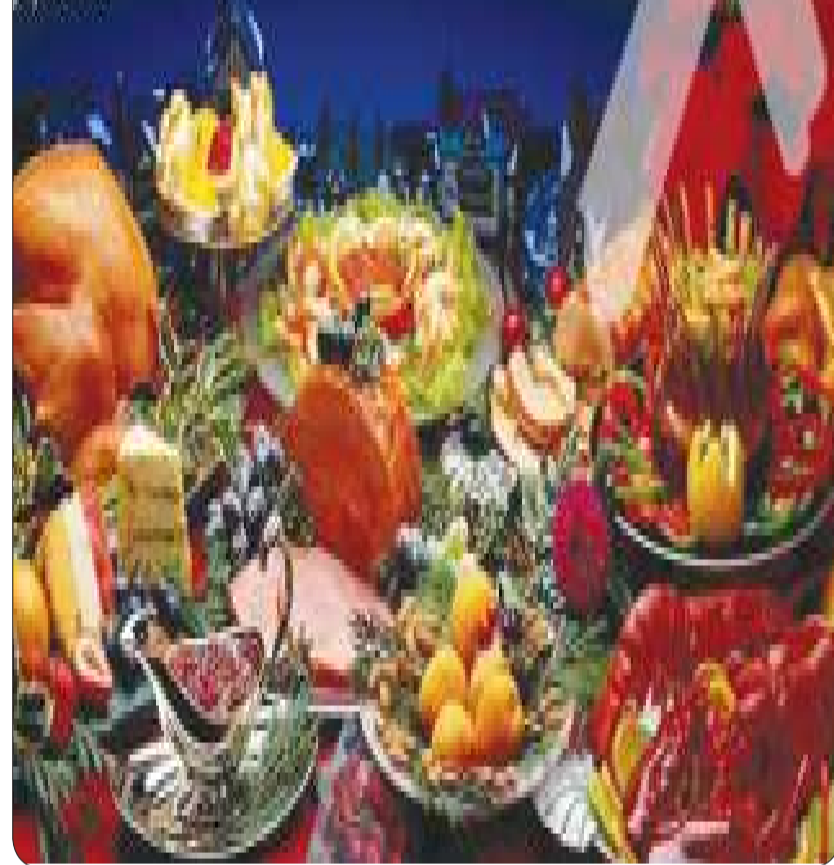
أسباب الإسراف

البعد عن صحيح الدين، أو الفهم الخاطئ للدين. والمقصود هنا أن جوهر الدين هو الاعتدال والوسطية، وذلك



قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه
بحسب ابن آدم إكلات يقمن صلبه
فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه
وثلث لشرابه وثلث لنفسه

سعد الدين



الطريق إلى نيل العلم.. وآثار الجهل

أخرجه أبو داود. واحذر أخي المتعلم: الكبر والغرور بالعلم والمراعاة والخاصمة والجدل وكنم العلم فهذا يؤدي إلى نسيانته واحذر من إطلاق الفتاوى بغير علم قال صلى الله عليه وسلم: (اللهم أني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن دعاء لا يسمع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع) النسائي صححه الألباني.

لئن تعين على العامي معرفة بعض القواعد الأصولية وجوباً، فإن تعلم العامي للأصول إجمالاً له فوائد عظيمة، من أهمها ما يأتي:

- 1 - علم الأصول علم شرعي يحصل بطلبه مع النية الطيبة الذي رتبته الشرع على طلب العلم.
- 2 - علم الأصول يؤهل الإنسان لاستخراج أحكام الشرعية، فينقل العامي إلى رتبة الاجتهاد.
- 3 - علم الأصول يعطي الإنسان القدرة على فهم النصوص الشرعية.
- 4 - علم الأصول يوضح المصطلحات العلمية التي يستخدمها العلماء في اللفظ الذي يريد معناه.
- 5 - علم الأصول يجعل الإنسان يضبط كلامه ولفظه، بحيث يستخدم اللفظ الذي يريد معناه.
- 6 - علم الأصول يعطي العامي الثقة في صحة الاجتهاد الذي سار عليه المجتهد الذي يتبع كلامه.
- 7 - علم الأصول يعرف الإنسان كيف يسأل العلماء، ويعرفه من هم الذي يسألهم.



أولى (ابن عثيمين رحمه الله تعالى).

من آثار الجهل

على مستوى الفرد أو المجتمع: انتشار البدع والضلالات في العقائد والعبادات، والمعاملات، وضعف الإيمان، وقلة التقوى، وازدياد المعاصي، وضعف الهيبة، كما أن الجهل بالعلم الشرعي يعد مدخلاً من مداخل إبليس كما قال ابن القيم في كتابه (تلبس إبليس).

تحذير

قال النبي «صلى الله عليه وسلم»، «من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ربحها» أن يجمع بين الأمرين فهو

طلب العلم عبادة. طريق الوصول إلى الجنة. يكسب صاحبه خشية الله والتواضع للخلق. يبقى أجره بعد انقطاع أجله. يرفع الوضيع ويعزّز الذليل ويجبر الكسير.

فائدة طلب العلم

أفضل من قيام الليل، لأن طلب العلم كما قال الإمام أحمد لا يعدله شيء لمن صحت نيته، بان ينوي به رفع الجهل عن نفسه وعن غيره، فإذا كان الإنسان يسهر في أول الليل لطلب العلم ابتغاء وجه الله سواء كان يدرسه أو كان يدرسه ويعلمه الناس فإنه خير من قيام الليل، وإن أمكنه أن يجمع بين الأمرين فهو

5 - تزكية النفس: أن يحب الشخص مدح نفسه ويفرح بسماع فناء الناس عليه (ويحبون أن يمدوا بما لم يفعلوا) وتزكية النفس مذمومة (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى) فحب التزكية وحب الثناء من مداخل الشيطان.

6 - عدم العمل بالعلم: سبب من أسباب محق بركة العلم ومن أسباب قيام الحجة على صاحب العلم (كبر مفتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) وزكاة العلم عمل به وتعليمه للغير.

7 - التسوييف: وهو كما يقول أحد السلف «من جنود إبليس»

فوائد العلم

به يعرف الله ويعبد ويوحد. هو أساس صحة الاعتقاد والعبادات.

وَعَلَّمَ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْفُتُ مِنْ رِزْقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةَ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا بَابٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مبین) فأخبر تعالى أنه يعلم حركة الأشجار وغيرها من الجمادات، وكذلك أبواب السراحة في قوله: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ مُتَلَكِّمٌ، وَقَالَ تَعَالَى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا)، وإذا كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء فكيف علمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة؟ كما قال تعالى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَىٰ كَيْفَ تَقُولُ) وتَلَقَّ فِي السَّاجِدِينَ، ولهذا قال تعالى: إذا تَخَذُونَ مِنْ ذَلِكَ الشَّيْءِ نَحْنُ مُشَاهِدُونَ لَكُمْ رَأَوْنَ سَامِعُونَ.

ثالثاً: عن عبد الأعلى بن أبي عبد العزري قال: رأيت عمر بن عبد العزيز خرج يوم الجمعة في ثياب دسمة ووراءه حبشي يمشي فلما انتهى إلى الناس رجح الحبشي، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين قال: هكذا رحمكم الله، حتى صدق المنبر، فخطب فقراً: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)، فقال: وما شأن الشمس؟ (وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ)، حتى انتهى إلى (وَإِذَا الْبِحَارُ سَمَرَتْ) × وإذا الجنة أُرْفِتْ) فيكي وبكى أهل المسجد، وارتج المسجد بالبكاء حتى رأيت أن حيطان المسجد تبكي معه. وهذه السورة جاء فيها الأوصاف التي وصف بها يوم القيامة من الأوصاف التي تزجج لها القلوب، وتشهد من أجلها الكروب، وترتعد الفرائص، وتعم المخاوف، وتحت أولي الألباب للاستعداد لذلك اليوم، وتزجرهم عن كل ما يوجب اللوم، ولهذا قال بعض السلف: من أراد أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليتبدير سورة (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)، بل ثبت مرفوعاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سَرَه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)، (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ)، (إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ).

رابعاً: وعن ميمون بن مهران قال: قال عمر بن عبد العزيز «الهاكم التكاثر» فيكي ثم قال: «حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ» ما أرى المقابر إلا زيارة، ولابد هذه يزورها أن يرجع إلى حنة أو إلى النار، هذه بعض المواقف التي تبين تأثير القرآن الكريم على شخصية عمر بن عبد العزيز: ولا تعليق على حالنا نحن مع القرآن بكفينا سماع سير هؤلاء الصالحين تنتصر على أنفسنا وعلى أفعالنا، وربما وسع احد منا أن يتعظ او يستفيد من حال هؤلاء السلف الصالح فيكون من الناجين بإذن رب العالمين.